



KULTUR
ÖFFNET
WELTEN

Ausgezeichnet mit dem Sonderpreis
für Projekte zur kulturellen
Teilhabe geflüchteter Menschen

Deutschland
Land der Ideen

Ausgezeichneter Ort 2016

Nationaler Förderer
Deutsche Bank

لاجئين كأدلاء متحفين في متاحف برلين فكرة ومحتوى المشروع

بدأ متحف الفن الإسلامي في كانون الأول من عام 2015 وبالتعاون مع ثلاث متاحف أخرى، بالعمل على مشروع يهدف إلى تدريب لاجئين ومغتربين من أصل سوري وعراقي ليصبحوا أدلاء متحفين يقومون بجولات لاجئين بلغتهم الأم. وقد وصل عدد الأدلاء إلى أربعة وعشرين دليل مع جولتين بالأسبوع لحد الآن. تغطي هذه المتاحف، والتي يجاور بعضها البعض، حقبة من التاريخ بدءاً من تاريخ الشرق الأوسط القديم، مروراً بالإمبراطورية البيزنطية والحقبة الإسلامية وصولاً إلى التاريخ الألماني الحديث. وبذلك تربط هذه المتاحف ما بين تاريخ الوطن الأم للاجئين وتاريخ البلد الذي يعيشون فيه حالياً. يجري الحوار والنقاش حول مجموعة من المعروضات المختارة من قبل الأدلاء والزائرين، وهو الشيء الذي يعكس خلفياتهم ويحفّزهم على طرح الأسئلة من خلال استكشاف نواحي الماضي. وهكذا تمكن آلاف من اللاجئين خلال هذه اللقاءات الندية من اكتشاف المتاحف بدون حواجز لغوية أو تسجيل مسبق.

يهدف مشروع "ملتقى: المتحف كمكان للقاء لاجئين كأدلاء متحفين في متاحف برلين" إلى تسهيل تبادل الخبرات الثقافية والتاريخية المختلفة وإلى تحفيز المشاركة الثقافية من خلال تجهيز المؤسسات الثقافية لهذه العملية. عندما يلمس اللاجئون الأهمية الكبيرة التي يتم إيلائها من قبل المتحف للقاء آتية من بلدانهم الأصلية، فإننا نأمل بأن يؤدي ذلك إلى دعم احترامهم لذاتهم ونشوء علاقات بناءة وثقة بمؤسساتنا الثقافية. إضافة لذلك أدى اهتمام الجمهور الألماني بالمشروع إلى القيام بثمانية عشر ورشة عمل في عام 2016 أتاحت لقاءات مباشرة مابين اللاجئين ومهتمين ألمان.

لقد لاقى المشروع نجاحاً منقطع النظير فقد شارك الآلاف من اللاجئين لحد الآن بالجولات المتحفية وقاموا بنقاش نواحي مختلفة من تاريخ الشرق الأوسط والتاريخ الألماني وبربطها بواقعهم الحالي. كما لاقى المشروع صدى كبير في الإعلام العالمي وقام بحصد جائزتين لحد الآن وهو مرشح للحصول على جائزة ثالثة. علاوة على ذلك فقد تلقينا العديد من الرسائل من متاحف أخرى ومؤسسات ثقافية وباحثين راغبين بتبني فكرة المشروع، غير أنّ نشأة ومحتوى متاحفنا الأربعة مطابقة لوضعنا ومكاننا كما أننا نستفيد من شبكة علاقات ممتازة تربطنا بباحثين سوريين وبالتراث السوري. إلا أنّ العديد من النقاط المذكورة هنا يمكن أن تشكل أهمية

لمتاحف أخرى وبالتالي يمكن البناء على هذه الأفكار وتطويرها من قبل المتاحف التي ترغب بذلك. وهنا يهدف هذا المقال إلى إعطاء لمحة عن أفكار ومنهجية وتحديات المشروع.

المنهجية كيف يمكن استحضار الماضي في الحاضر

لا يهدف المشروع إلى زيادة عدد الزوار، إذ أنَّ متحف الفن الإسلامي يستقبل سنوياً مئات آلاف الزوار وبسبب أعمال الترميم التي تجري حالياً فهناك إمكانية أقل لاستقبال الزوار. هدفنا كان مزدوجاً: كيف نستطيع (كمتحف يغطي الحقبة الزمنية الممتدة من الفترة الكلاسيكية المتأخرة وحتى بواكير العصر الحديث في القرن السابع عشر ميلادي) من استحضار الماضي إلى الحاضر ومن الاستفادة من معارفنا حول الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات في مجتمع يعيش فترة من التغيير. علاوةً على ذلك فنحن نشهد يومياً حالة اللجوء من خلال مشروع أرشيف التراث الثقافي السوري والذي يهدف إلى توثيق هذا التراث بالتعاون مع خبراء سوريين.¹

من الصعب على القادمين الجدد الذين فقدوا تقريباً كل شيء ألا يفقدوا الأمل وهم جالسين في ملاجئهم بدون عمل، وخاصة لهؤلاء الحاصلين على تعليم عالي والذين كانوا يتبوؤن مناصباً في بلدهم الأم. لقد أردنا أن نخلق أملاً وإمكانات! لقد قامت شبكة الزملاء العاملين في "مشروع توثيق التراث الثقافي السوري" بجهود هائلة في إنشاء هذا المشروع. بسبب محدودية المبلغ الأولي ولكن المهم جداً لتمويل المشروع لعدة شهور والذي تم الحصول عليه في نهاية العام 2015² كان علينا أن نبدأ العمل بسرعة كبيرة. بدأت شبكة الزملاء المذكورة بالبحث بسرعة عن أدلاء محتملين وتمكنت فكرة المشروع من حصد عدد كبير من المهتمين ذوي الخلفيات المهنية المختلفة بدءاً من المهندسين والمعماريين والفنانين والمحامين وصولاً إلى أدلاء متحفيين محترفين ومنقبي آثار ومرممين، الشيء الذي يسمح للزائرين برؤية وفهم المعارضات بشكل متنوع يعكس الغنى في الخلفيات المهنية للأدلاء. يعود الفضل الأول في نجاح المشروع للحماس الكبير للأدلاء، الذين عملنا منذ البداية على تقوية الأواصر الاجتماعية بيننا وبينهم. إنَّ لمتحفنا موقعاً خاصاً كوننا نعمل في سوريا منذ أكثر من مائة عام وجزء من أبحاثنا له أيضاً علاقة مع هذا البلد مما يربطنا به عاطفياً بشكل مباشر. من الصعب على متاحف أخرى ولكن بالطبع ليس من المستحيل، بناء هكذا شبكة للعمل كأدلاء وكوسطاء. يلتزم المتحف بشكل كبير بالتشاركية كمبدأ وكأسلوب عمل. فقد تم تطوير الفكرة من قبل مشاركين سوريين، ويشكل السوريون جزءاً من فريق الإدارة، كما أننا نعمل بشكل مباشر مع شبكتنا السورية والعراقية. العديد من

¹ بدأ متحف الفن الإسلامي ومعهد الآثار الألماني (كل منهما لديه قاعدة معلومات كبيرة هي نتيجة لسنين طويلة من البحوث في سوريا) في عام 2013 بوضع لائحة رقمية للتراث الثقافي السوري من خلال ما يسمى "مشروع توثيق التراث الثقافي السوري"، لمزيد من المعلومات يمكن رؤية www.syrian-heritage.org أو www.facebook.com/Syrher.ISL/. وقد تطور هذا المشروع ليصبح مشروعاً رائداً وشبكة عالمية كبيرة وأحد منظمي مؤتمر اليونيسكو الأخير حول سوريا. يشكل مشروع توثيق الأضرار وإنقاذ الأرشيفات المحلية بالإضافة للتأهيل الثقافي في مخيمات اللاجئين عدداً من المشاريع الجديدة التي يتم العمل عليها في هذا الإطار.

² تم في البدء تمويل المشروع من قبل وزارة الأسرة والمسنين والنساء والشباب وذلك في إطار المشروع الفيدرالي "Demokratie leben!" (الحياة الديمقراطية!). نتوجه بجزيل الشكر لممثلي الحكومة لشؤون الثقافة والإعلام (BKM) وللمؤسسة Schering لمساهماتهم الكبيرة. كما نشكر أيضاً كل من مؤسسة متحف التاريخ الألماني ومؤسسة أصدقاء متحف الفن الإسلامي في متحف البرغامون ولجميع الأشخاص على التمويل اللاحق.

السوريين لم يعتادوا في حياتهم المهنية السابقة على العمل في المشاريع الجماعية، وهذا يتطلب وقتاً والتزاماً اجتماعياً من قبل فريق العمل في المتحف. ولذلك نحاول البقاء على صلة مباشرة مع الجميع من خلال وسائل التواصل الاجتماعية ومن خلال القيام بلقاءات دورية مع فريق العمل، كما ندعو الجميع ليلعبوا دوراً في تطوير المشروع وهم دائماً يفعلون ذلك. في حين أنَّ الأدلاء كانوا متحمسين جداً للمشروع فقد واجهتنا مشاكل إدارية فيه. ففي حين كان بعض الأدلاء يعيشون منذ سنتين أو أكثر في ألمانيا ويحق لهم بالتالي العمل وكسب المال بشكل عادي، كان أغلب الأدلاء من الواصلين حديثاً إلى هنا وبالتالي لا يُسمح لهم بالعمل وجني المال بسبب وضعهم كلاجئين. لحل ذلك قاموا بالانضمام إلى جمعية أصدقاء متحف الفن الإسلامي واكتسبوا بذلك أحقية الحصول على تعويض عن عملهم (نفس المبلغ الذي يجنيه الأدلاء الآخرون). لقد قدم أصدقاء متحف الفن الإسلامي خدمة كبيرة من خلال أخذ مهمة التخطيط المالي للمشروع على عاتقهم.³

استفاد المشروع فضلاً عن ذلك من المساهمة الكبيرة لإدارات المتاحف الثلاثة الأخرى والمكاتب التعليمية فيها، إذ أنهم وافقوا بشكل مباشر على الانضمام إلى المشروع وتأمين الوقت اللازم له. ثم تم بالتعاون مع قسم "التعليم والتوعية وخدمات الزوار" التابع لمتاحف الدولة وقسم "التعليم والتوعية" في متحف التاريخ الألماني، إنشاء برنامج تدريبي لتأهيل الأشخاص المختارين ليصبحوا أدلاء متحفيين، من خلال تزويدهم بمعلومات عن موجودات المتاحف وإعطائهم معلومات حول أساليب وطرائق إجراء جولات متحفية. وتم تعيين مدرب مختص بموضوع التواصل عن طريق الحوار، إذ أننا لا نريد أن يتم نقل المعرفة باتجاه واحد من المتحف للمتدربين. وهكذا لم يكن يتعين على أدلائنا حفظ معلومات عن مقتنيات المتاحف عن ظهر قلب وإنما تم سؤالهم عن المعارضات التي تعنيهم. وهكذا قام كل من الأدلاء باختيار المتحف الذي يرغبون بالقيام بالجولات فيه وباختيار مجموعة من المعارضات فيه وبذلك أغنوا المشروع من خلال خلفياتهم وخبراتهم المختلفة في الحياة. سلط المتحف الضوء عمداً على المعارضات والقصص التي يمكن أن تمس قضايا اللاجئين وتم دعوتهم إلى التفكير بالمعارضات ومحاولة فهمها وعكسها في إطار تاريخهم وخبرتهم الشخصية. نورد هنا بعض الأمثلة عن مواضيع من التاريخ الألماني والتي لاقت اهتماماً كبيراً من الزوار العرب:

قصة الحرب والدمار في ألمانيا: سنة 1945 لم تكن نهاية التاريخ وإنما بداية جديدة.

المهاجرين الألمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر أو المهاجرين من الشرق بعد الحرب العالمية الثانية: في تاريخ كل منا يوجد ناس اضطروا للهروب من الحروب أو من الفقر.

الحروب بين البروتستانتين والكاثوليك وخاصة حرب الثلاثين عاماً (1618-1648): هل كانت هذه الحروب لأسباب دينية فقط؟

³ يمكن الحصول على معلومات عن المشروع (بشكل أساسي بالعربية والألمانية) وتحميل العديد من المنشورات ومن المقالات الصحفية على موقع www.fmik.de وعلى facebook.com/MultakaTreffpunktMuseum. يتألف فريق إدارة المشروع من سلمى جريج وحسام زاحم محمد وكورنيليا فيبر وأنا. أما الأدلاء والمدرسين المشاركين بالمشروع فعددهم الكبير لا يتيح لي هنا شكرهم بالاسم ولكن لولاهم لما نجح هذا المشروع.

تعتبر ألمانيا في نظر الكثيرين رمزاً للغنى وللقوة الاقتصادية. رؤية مشاهد من برلين المدمرة بعد الحرب عام 1945 تذكر بمشاهد الدمار في سوريا وفي العراق، ولكنها ترمز للأمل. حرب الثلاثين عاماً كانت موضوعاً يحفز النقاش حول آليات الحرب وحول الطائفية. وعلى الرغم من تنوع الخلفيات الدينية والسياسية والاجتماعية للمشاركين في الجولات، كان من الممكن إجراء نقاش والتوصل إلى توافق على أن اختلاف الطوائف غالباً ليس سبباً وإنما حاملاً للحرب الأهلية، وهكذا يتم الحديث عن الحقيقة المعاشة أثناء مراقبة مشهد مشابه حدث قبل أربعين عاماً في بقعة جغرافية أخرى من العالم.

نشجع الناس في مشروعاتنا على الانخراط في الحوار، إذ يستطيع الأدلاء والزوار على حد سواء الإدلاء برأيهم والتعبير عن وجهة نظرهم وذلك انطلاقاً من مبادئنا العلمية. وقد شكل هذا الموضوع التحدي الأكبر وكان بمثابة عملية تعليمية لي شخصياً كمدير متحف وكباحث. إلا أننا كوفئنا مباشرة: إذ بدأ الكثير من الناس الذين لم يعتادوا زيارة المتاحف من قبل، بالإحساس بالانتماء لهذا المكان، الشيء الذي يعتبر الانجاز الأهم للمشروع، كون العدد الأكبر من زوار ملتقى ليسوا بزوار متاحف (لقد عشت اثني عشر عاماً في سوريا وفي لبنان والمتاحف هناك خالية تقريباً من الزوار). ولكننا نرى الآن كيف يتناقش هؤلاء الزوار مع الأدلاء لمدة ساعة أو ساعتين وكيف يعود البعض منهم مرات أخرى للزيارة. حقيقة، لقد أصبح أدلائنا وسطاء، يناقشون واقعنا الحالي من خلال الحديث عن التاريخ وأصبح تاريخ الآخرين فسحة لطرح أسئلة حول الواقع الشخصي. وبذلك فإن المتحف ليس فقط مكاناً يجذب شرائح اجتماعية جديدة وإنما أصبح مكاناً مرجعياً للتبادل الثقافي في مجتمعنا. وهكذا أصبحت مؤسسة رسمية كهذه ذات أهمية لناس كثر في برلين على اختلاف أصولهم وأصبح ملتقى مكاناً للقاء بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

السرد الكبير متصلين من خلال التاريخ الثقافي الإنساني

كمؤسسة متخصصة بالتاريخ الثقافي فإننا نؤكد على ديناميكية العمليات الثقافية وتطوراتها: على الترابط والتبادل، كما نؤمن، في زمن يتسم بعدم اليقين الثقافي الجماعي، مثلاً لشبكة ثقافية منفتحة (متعددة الأديان والإثنيات، عابرة للحدود ومتشابكة في آن). هدفنا هو هويّاتنا التي نراها متصلة وتعددية، هجينة وشاملة. تركز جميع المتاحف الأربعة المشاركة في المشروع أثناء التدريب على قراءة عامة وواسعة للتاريخ، تحوي حيزاً يتسع لكل منا. أما النواحي التي يتم التركيز عليها فتختلف من متحف لآخر وفقاً لنوع المعروضات التي يحتضنها:

تركز الجولات التي تجري في قسم مجموعة التماثيل ومتحف الفن البيزنطي على عرض نواحي تشير إلى الجذور المشتركة بين الديانات العالمية الثلاث: الإسلام، اليهودية والمسيحية. لقد كانت الحضارات في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط تتسم، لمئات السنين بوجود مجتمعات متعددة دينياً وإثنيّاً، والتي هي اليوم تحت التهديد. أما متحف الفن الإسلامي ومتحف الشرق الأدنى القديم فيعرض شواهد رائعة للتاريخ البشري خاصة من سوريا والعراق وتركيا وإيران. يسرد كل من هذين المتحفين حكايات عن التبادل التقني الثقافي ما بين أوروبا والشرق الأوسط وعن تعددية المجتمعات والترابط الحضاري في كل حقبة زمنية وحتى الآن (انظر إلى الفقرة أدناه). أما الجولات في متحف التاريخ الألماني فتربط هذه الخبرات الثقافية بالوطن الجديد، وبالمناخ فقد اختار معظم الأدلاء العراقيين والسوريين هذا المتحف كالمكان المفضل لهم للقيام بجولات فيه.

من خلال تصوير هذه القواسم المشتركة وادراجها ضمن رواية ثقافية تاريخية أكبر، لدى المتاحف فرصة كبيرة أن تلعب دور الرابط ما بين بلدان اللاجئين الأصلية وبلدهم المضيف، بهدف خلق سياق يفسر معنى حياتهم هنا. نحن سعداء في حالتنا هذه أن نكون قريبين من هذه السردية من خلال عملنا في المتاحف الأربعة. على كلٍ فهناك أفكار مفتاحية يمكن أن تكون مناسبة في أي مكان:

الهجرة: لا يوجد أي شيء في متاحفنا بمعزل عن الهجرة كل المعروضات هي تعبير عن الاتصال بين المناطق وعن الهجرة: تبادل التقنيات والأنماط والأزياء والأفكار هو قاعدة كل حكاية. لا يمكننا تفسير أي موضوع أو أي شيء في مجتمعنا من خلال خرائط تاريخية جامدة. من أين أتى الحديد؟ أو من أين أتت الأبجدية؟ ماذا عن الورق والبارود، وماذا عن الهاتف وبنطال الجينز الذي ترتديه؟ انظر إلى حياتنا، انها كلها من صنع الهجرة (والتجارة). لا يوجد خيط واحد في ثيابنا يمكن أن يكون فقط ألماني أو سوري أو بريطاني الخ.

التراث المشترك: إن معرفة تاريخ التبادل ما بين حضارتنا وماذا أتى من الشرق الأوسط يساعدنا ربما على فهم حقيقة أن كل منا لم يكن بهذا الشكل لولا الآخر. اللائحة التي تعود للشرق الأوسط لائحة طويلة: العلم، الفلسفة، تقنيات السيراميك، الورق، لعبة الشطرنج والعود الذي يعتبر أم آلة الغيتار الحديث (بدون العود لا وجود لجيمي هندريكس أو جون لينون) الخ. أيضاً اللائحة المعاكسة هي لائحة طويلة. العديد من الحقائق الثقافية منسوجة من الطرفين الذين يعيشان على طرفي البحر المتوسط والذين تكونا من خلال تفاعلها عبر مئات من السنين.

الخيوط المشتركة في التاريخ: ما هي التجارب التاريخية المشتركة؟ على سبيل المثال، فولادة ثقافاتنا من العصور الكلاسيكية المتأخرة أو التغيير الجذري في أنماط الحياة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، تشكل مراحل وثيقة الصلة من مراحل تطورنا. مراحلنا هذه ليست متشابهة ولكنها مرتبطة ببعضها. النقاط التاريخية المتوازية أو المترابطة من التجربة الإنسانية يمكنها أن تركز على مواضيع محددة مثل الحب، الحياة والنظام الاجتماعي وما لذلك من تأثير على هياكل التفاعلات مثل التجارة أو الحرب (طريق الحرير أو البحر الأبيض المتوسط).

مناطق الاتصال: التواصل التاريخي والثقافي بين ألمانيا وسوريا والعراق. التبادل بين شارلمان الكبير وهارون الرشيد، ما بين فريديريك الثاني والسلطان كامل وما بين فيلهلم الثاني وعبد الحميد الثاني. تراث الإسلام في صقلية وإسبانيا ودول البلقان. ثقافة البلاط على امتداد البحر الأبيض المتوسط في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي الخ. مدينة البندقية والتجارة مع الشرق الأوسط. الصليبيين كناقل للثقافة.

الهوية: من خلال نقاش الزوار حول تجربة اكتشاف الخلفية الثقافية المتشابهة للأشياء نرى بشكل متكرر كيف ترتفع الثقة والتقدير لديهم لهويتهم الثقافية. في زمن يتسم بعدم الاستقرار الاجتماعي وبزيادة الإبعاد الثقافي يمكن النظر إلى التعددية الثقافية بوصفها تطور إيجابي. وهكذا تصبح مواضيع تعود للماضي، مساحة تعكس الحاضر وتساعد على تكوين هويات جمعية. كيف كان يتم تبادل

الأفكار في مجالات الفن والموسيقا والعلم والتاريخ على مر القرون؟ أين هي أصولنا؟ نحن نعطي أمثلة ملموسة وأجوبة غير معتادة حول سؤال "من أنا ومن أنت". نحن في حاجة ماسة لذلك نظراً لزيادة مظاهر اليمينية الشعبوية والتعصب الديني.

ملتقى مشاركة ثقافية وتقدير ثقافي

تشكل القطع الأثرية السورية والعراقية المعروضة في متحف الفن الإسلامي وفي متحف الشرق الأدنى القديم شواهد بارزة من تاريخ البشرية. قد تبدو هذه المقولة ساذجة ولكنها قناعة نشأت من خلال تجربتنا: لقد كان كل الزوار تقريباً سعيدين برؤية التقدير الكبير الذي تحظى به كنوزهم الثقافية الموجودة في موقع ممتاز وسط برلين. بالطبع طرح الكثير من الزوار أسئلة عن كيفية وصول هذه القطع إلى ألمانيا. وهكذا جرت نقاشات مفتوحة حول علم الآثار وحول حماية الممتلكات الثقافية والدعوات لإعادتها، كل ذلك أدى إلى بلورة رؤية مختلفة لدى السائلين ممزوجة بالشعور بالسعادة لرؤيتهم هناك. إنَّ رؤية جزء من تراثهم في المتحف يجعل الزوار يحسون بالفخر. وهكذا نسمع العبارة العربية "شيء يرفع الرأس" والتي تعبر عن الفخر واحترام الذات تتردد باستمرار. إنَّ الاندماج كفعل انتماء واعي يحدث بشكل تدريجي عندما يشعر الإنسان بالاحترام من قبل الآخرين. بدأ مشروع ملتقى بتجربة من التقدير المتبادل لحضارات الشرق الأوسط، في متحف بودة وفي متحف البيرغامون ومتحف التاريخ الألماني. في النقاش حول موضوع الهجرة يتم دائماً رؤية الهوية الثقافية الخاصة بالإنسان كعقبة في طريق الاندماج في المجتمع الجديد. نحن نعتقد بالعكس: عندما يشعر الإنسان بتقدير الآخرين له فهو يشعر بأنه جزء منهم وليس العكس وبذلك يصبح من الأسهل عليه الانخراط في المجتمع. لقد استولى اللاجئون على جزيرة المتاحف وجعلوا من هذه البلاد ومن مؤسساتها الثقافية ملكاً لهم. إنَّ الخطوة التي قادت إلى المتاحف والنقاشات الحية (!) حول تراثنا الثقافي المشترك هي الخطوة الأولى لنسج خيوط جديدة من الانتماء الثقافي. إنَّ الديمقراطية تركز على المشاركة المسؤولة للمواطنين. مشروع ملتقى يسهل المشاركة الثقافية ويشجع على هذه المشاركة من أجل أن يصبح الإنسان عضواً فعالاً في مجتمعنا. من خلال تصوير بعض القواسم المشتركة وادراجها ضمن رواية ثقافية تاريخية أكبر، لدى المتاحف فرصة كبيرة. إذ يمكن لها من خلال ذلك خلق معنى للناس ولعب دور جديد ذو أهمية كبيرة في مجتمعاتنا.

البروفيسور الدكتور شتيفان فيبر

مدير متحف الفن الإسلامي، برلين